ما ينشر في هذه الصفحة لايعبر بالضرورة عن رأي الصحيفة

«الهدهد».. الثأر التاريخي

أحمد فؤاد

يحلو للكثيرين من المعلّقين على خطابات الأمين العام لحزب اللّه سماحة السيد حسن نصر اللّه، حتى من البعيدين عن تبني خيار المقاومة، ختام قراءاتهم لإطلالاته بأن السيد ومهما اختلفوا معه يتمتع بـ «الصدق»، حتى إعلام العدو في ما يبدو يثق كثيرًا في الخطاب السياسي للسيد، أكثر مما يثق بحكومته ووزرائه، لكن بالنسبة لنا، نحن قبل ذلك بكثير، فإن حرصه على نقل هذه المفاهيم لنا وتبيانها واتصالها الدائم مع عمله الجهادي الأكبر، هو أعز ما يقدمه رجل لأمته، المثل والقدوة وقوة التغيير الإنساني للجمهور الواسع الذي لم يعرف يومًا الصدق مختلطًا مع العمل السياسي.

يكاد الإنسان يجزم أن معركة «طوفان الأقصى» بالنسبة للأمة العربية، ولأطهر أبنائها

عشاق المقاومة وسيدنا، يمكن لنا أن نقول كلامًا غيره بعد خطاب تاريخي – بكل جلال هذه الكلمة - في التاسع عشر من حزيران، وربطًا بكل خطابات سماحة السيد منذ اندلاع «طوفان الأقصى»، وأولها كان في الثالث من تشرين الثاني الماضي.

الصدق كما نعرفه عند سماحة السيد ليس صدق الوعد، ولا صدق الكلمة، الصدق عند السيد هو قيمة متكاملة كما هو في الجزء الأعمق من قلب إيمان الإنسان، الصدق هنا كقيمة هو التزام ديني وسياسي ووطني وإنساني. الصدق هنا يتوسع ويتعمق بحيث يكون هو مسؤولية العهد والوعد والشخصية، وفوق ما يمثله لنا السيد كونه القائد في أشرف –وأهم- معركة نخوضها منذ ١٩٤٨، وربما في محور المقاومة، هي عملية «بعث» أو إعادة ميلاد لهذه الأمة وقدراتها وحضارتها وكينونتها، وهذه اللحظة أكبر كثيرًا من حشرها في مواجهة عسكرية مع كيان العدو التافه، بل هي تستدعي واحدة من لحظات الصدام المبكر في العصر الحديث بين العرب والغرب، في العام ١٧٩٨، حطت الحملة الفرنسية بقيادة نابليون بونابرت في الإسكندرية، ثم زحفت جيوشه وخاضت ما تعرف بـ«معركة إمبابة». يروي المؤرخون أن فارسًا مملوكيًا شق الصفوف فجأة طالبًا فارسًا مبارزًا من الجيش الفرنسي، فلم يكن نصيبه أكثر من طلقة واحدة أسقطته عن جواده المطهّم بالحلي والأساور، كانت هذه فقط بداية عصر.

وبعد دخول الاستعمار الأوروبي إلى الدول العربية، واحدة تلو أخرى، جاء فصل جديد بعنوان «الرعب القادم من السماء»، وشهدت ليبيا في ٥ آذار/ مارس ١٩١٢، أول عملية قصف جوي بالطائرات في التاريخ، وفي كتاب «قواعد استخدام الطائرات في الحروب»، فاخر الإيطالي جوليو دوهى، قائد أول وحدة قاذفات جوية في العالم، بخبراته الواسعة في مبادئ استهداف وترويع القرى والمدنيين العزل باستخدام سلاح الجو، وتباهى بقدراته على إخضاعهم وشل مقاومتهم، عبر النشر الواسع لهذا الإرهاب الجديد، كان ذلك فصلًا جديدًا أيضًا، تكامل مع جريمة بريطانية مماثلة، لكنها أوسع، في العراق، حيث مثل سلاح الجو دور رأس حربة الاحتلال البريطاني هناك لدعم العرش الهاشمي، أو ما كان يعرف بـ «حكومة الطائرات".

ثم جاءت لحظة زرع كيان العدو السرطاني، وهي من بنات أفكار نابليون بالذات الذي مر في حملته ببلاد مصر والشام، وعرف أن السيطرة الغربية على هذا العالم مضمونة إذا ما أتيح لها زرع حد فاصل –في فلسطين بالذات- يكون قاطعًا لاتصاله مانعًا لاجتماعه، وإسفنجة تمتص على الدوام طاقاته وتبددها.

تبنى الكيان قبل إعلانه كل إستراتيجية التفوق الغربي، فهو دائمًا في وضع عسكري يضمن له سبق كل الدول العربية مجتمعة، في سلاحه دفاعًا وهجومًا، أضيف إليه أن الكيان نشأ بعناصر جاهزة للعمل، إذ لم يكن على الوكالة اليهودية سوى إرسال أفراد الفيلق اليهودي الذي شارك في الحرب العالمية الثانية، وحصل على خبرات هائلة منها، ثم توريد النواقص من الأسلحة والضباط إلى الكيان، لتكون حرب ١٩٤٨ الفاجعة العربية سقوطًا شاملًا دونما قتال!

هكذا ووفقًا لتصور عام فإن الجغرافيا كانت الأرضية التي شهدت كل هذه التطورات وفصول الصدام بين العرب والغرب، وكان التاريخ هو الخلفية التي جرت أمامها الوقائع الجديدة، وفي كل الأحوال فإن العالم العربي لم يستطع أن يجاري المستعمر الأوروبي حين نزل ينهش الأطراف، أو المستوطن الصهيوني حين جاء يستهدف القلب، كان العربي عاريًا من كل أدوات العصر، وأولها بالطبع سلاحه.. هذا يمكن قوله قبل خطاب سماحة السيد اليوم، كان يمكن أن يكون صحيحًا تمامًا قبل اليوم.

سيتوقف المشهد العربي كثيرًا أمام تلك الفقرة من خطاب سماحة السيد، عليه وله أن يتوقف: «قاتلنا بجزء من سلاحنا حتّى الآن وحصلنا على أسلحة جديدة ستظهر في الميدان وطورنا أسلحتنا واستخدمنا أسلحة جديدة في هذه المعركة ولدينا عدد كبير وفير من المُسيّرات لأننا نصنعها، ولدينا القدرة البشرية الكافية والمتحفّزة، وعدد المقاتلين في المقاومة تجاوز الـ ١٠٠ ألف مقاتل بكثير، وفي لبنان لدينا فوق حاجة الجبهة حتّى في أسوأ ظروف الحرب».

لدينا طرف قال من قبل إننا نملك الدم والسيف، واليوم رأينا الدم والسيف عين اليقين، لم تعد السماء تلقي بالموت فوق رؤوسنا فقط، بل أصبحت ميدانًا مفتوحًا تغطيه المقاومة وبكفاءة مذهلة وقدرات متعاظمة ومفاجئة، لم يعد الصهيوني يقاتل وفي يده التكنولوجيا الفضلى، بل عاد إلى زمن «المنجنيق»، بينما يقاتل رجال اللّه بالذكاء الاصطناعي والتشويش الإلكتروني، وكل مفردات العلم والتقنية. إن أكرم وأنبل أبناء الأمة قد استطاعوا ببساطة أن يتعلموا كل شيء، وهم أيضًا لم ينسوا أهم شيء «الثأر».

في هذه اللحظة بالذات، وفي يوم تأبين وتذكار القائد الشهيد طالب عبد اللّه «أبي طالب»، فإن الأسطورة التي كان يقوم عليها كيان العدو بأسرها راحت تتهاوى، مثل بناء تصدع بنيانه وتضعضعت أساساته، هذا الكيان المسخ أمام بأس رجال اللّه، بعد عملية «الهدهد» وقبل عملية «الهدهد»، سيصل حتمًا إلى اللحظة الحرجة لتسارع تساقط الطوابق في طرفة عين، ولن يظل باقيًا إلا الأنقاض والركام والخراب، والكثير جدًا من الدماء.

هل وجد نتنياهو في السلاح الأميركي ضالّته؟

بعد أيام من التعبئة السياسية والدبلوماسية والإعلامية لرفع مستوى المصادقة للتهديد بشن حرب على لبنان، قال رئيس حكومة الاحتلال بنيامين نتنياهو إن الحصول على الأسلحة التي يحتاجها جيشه من أميركا سوف يتيح له الانتصار الحاسم على حركة حماس في قطاع غزة وردع التهديد الذي يمثله حزب اللّه من جنوب لبنان.

كلام نتنياهو يحتمل الصياغة بطريقة أخرى، أن النجاح في كل من بلوغ الانتصار الحاسم على حماس وردع حزب اللّه وتهديداته للكيان عبر جنوب لبنان، لن يكون ممكناً دون أن يحصل الكيان وجيشه على الأسلحة التي يتوقع أن تمدّه بها واشنطن، وهو يقول ذلك جاعلاً من ملف الحصول على المزيد من الأسلحة والذخائر كماً ونوعاً موضوعاً لزيارته المرتقبة إلى واشنطن، التي سوف يتحدّث خلالها أمام الكونغرس، في مناخ من التوتر يحكم النظرة للأولويات بينه وبين الرئيس بايدن، في ظل ما تقوله حملة بايدن الانتخابية أن نتنياهو آتٍ للمشاركة في حملة المرشح الرئاسي المنافس لبايدن الرئيس السابق دونالد ترامب.

عملياً، لم تبخل إدارة بايدن بتقديم الأسلحة التي قتلت الأطفال والنساء في غزة لجيش الاحتلال، وقدّمت الأموال بسخاء غير مسبوق، ثم قدمت الحماية

القانونية في مجلس الأمن الدولي باستحضار الفيتو كلما كان شبه الإجماع على قرار يزعج تل أبيب وارد الصدور، لكن نتنياهو الذي يدرك أن جيشه غير قادر على تحقيق النصر الحاسم في غزة، والقيام بعملية حربية موثوقة في جنوب لبنان، وجد في قضية المطالبة بالمزيد من السلاح الأميركي ضالته، فهو من جهة يبرّر بطلباته الصعبة عدم نجاحه في بعض العمليات العسكرية مثل النصر الحاسم في غزة، وعدم قيامه ببعضها الآخر مثل شن الحرب على لبنان.

ينقل نتنياهو أعباء الفشل عن ظهره الى ظهر بايدن من جهة، ويضع بيد ترامب شعاراً انتخابياً مناسباً اسمه كل الدعم للكيان بلا شروط، ولا مشكلة لديه أن ينتظر لما بعد الانتخابات الرئاسية الأميركية على نار حرب هادئة، لكن رغم كل ذلك يصرّ بايدن على التصرّف كصهيوني، كما يكرّر، فيضع مصلحة "إسرائيل" فوق مصلحة أميركا.

البناء

اليمن لأميركا.. جُرّي أذيال الهزيمة

سارة عليان

لم تتمكّن أميركا ومن معها من حلفاء، على امتداد تسعة أشهر من بدء معركة طوفان الأقصى، أن تمنع أو تصد هجمات اليمن على السفن والأساطيل المتجهة لكيان الاحتلال الصهيوني، رغم كلّ المحاولات السياسية والعسكرية والهجومية التي لم تؤت أكلها، بل على العكس، زادت من إصرار جبهة اليمن على مضاعفة هجماتها وجعلها أوسع انتشارًا.

معالم الفشل الأميركي في اليمن باتت واضحةً اليوم أكثر من أي وقت مضى، ويعود ذلك بالطبع لأسباب متشعبة الاتّجاهات، إلا أنها ترتبط جميعها بواقع جديد فرض نفسه على الساحة الدولية، وهو انهيار نظام الهيمنة الأميركية البحرية لا سيما في البحر الأحمر، وقد أثبتت جبهة اليمن صحّة هذا الواقع بكلّ الشواهد والأدلة.

فور اندلاع الحرب الوحشية الصهيونية على قطاع غزّة، وأمام الدعم الغربي والصمت والتقاعس العربي، دخل اليمنيّون الحرب كجبهة مساندة لوقف هذه الإبادة الجماعية عبر استهداف السفن المتجهة لموانئ الكيان المحتل، وقد أثارت هذه الخطوة المفاجئة قلق الولايات المتحدة الأميركية على نحو كبير، حيث باشرت على الفور مساعي التفاوض لوقف هذه الجبهة.

في هذا الإطار، يُذكر أن البيت الأبيض حاول التفاوض بشكل غير مباشر مع أنصار اللّه عبر الوساطة العمانية، وعرضت الولايات المتحدة قائمة من الحوافز مقابل وقف الهجمات في البحر الأحمر، إلا أن اليمن رفض بشكل قاطع جميع المقترحات وأعلن أنه لن يتوقف عن استهداف السفن التي تخدم المصالح «الإسرائيلية» إلا عندما تتوقف الحرب على قطاع غزّة.

الفشل الأميركي الدبلوماسي انسحب أيضًا على عجز الولايات المتحدة الأميركية عن تشكيل تحالف دولي ضدّ اليمن من خلال عسكرة المنطقة، وتقديم المسألة باعتبارها تتعلق بحماية حركة الملاحة والشحن في البحر الأحمر بعيدًا عن الحرب القائمة في غزّة، إلا أن مساعيها اصطدمت بعدم ترحيب حلفاء واشنطن في أوروبا والعالم العربي بدعوتها للمشاركة، والتحالف الذي كان من المفترض أن يضمّ ٤٢ دولة، تقلص إلى ٨ دول. والجدير بالذكر أن في نيسان / أبريل المنصرم، تحدث موقع «ذا وير زون» المحسوب على البنتاغون والمخابرات الأميركية عن هزيمة البحرية الأوروبية وانسحاب نصف السفن من البحر الأحمر، ومنها السفن الفرنسية والدنماركية وأخيرًا الألمانية.

وعلى صعيد القوات البحرية اليمنية، فإن ما تنجزه الصواريخ والمُسيّرات والقوارب شكّل انقلابًا كبيرًا وتغيّرًا على مستوى النظريات العسكرية البحرية المعتمدة لدى أميركا وحلفائها، فبينما يُكلّف بناء حاملات الطّائرات والبوارج مليارات الدولارات، فإنّ صاروخًا يمنيًّا لا يُكلّف تصنيعه إلّا بضعة آلاف قادر على إعطابها في ثوانٍ معدودة، وهُنا تكمن المُعضلة الأميركيّة غير المتوقّعة، وذلك بسبب التكاليف العالية للأنظمة الدفاعية البحرية التابعة للتحالف الأميركي والتي تستخدم بكثافة لمواجهة مجموعة من الطائرات المسيرة والصواريخ المجنّحة والباليستيّة رخيصة الثمن.

القلق الأميركي من تبعات جبهة اليمن شمل أيضًا توجه الصين وروسيا للاستفادة من التجربة اليمنيّة مع تقدمهما التقني والتكنولوجي، مقابل بقاء اعتماد الغرب على أنظمة أسلحة بحرية تقليدية عالية الكلفة، وهذا الأمر دفع الدنمارك مثلًا لإقالة وزير دفاعها بعد أن أظهرت السفينة الحربية الدنماركية المشاركة في التحالف عيوبًا في أنظمة دفاعها الجوي وذخيرتها، ما يستدعي إنتاج أنظمة دفاع بديلة تواكب الأنظمة الهجومية الرخيصة التي يستخدمها اليمنيون.

جزء من تداعيات وتأثير جبهة اليمن، برز

مؤخرًا في تقرير نشرته وكالة استخبارات «الدفاع الأميركية» منذ أسبوع تقريبًا، ذكرت فيه أن أنصار اللّه قد شنوا من بداية الحرب ١٧٥ هجومًا على البحرية الأميركية وسفن التحالف والسفن التجارية، و٢٩ شركة كبرى للطاقة والشحن غيرت طرقها لتجنّب الهجمات، وأن طرق الشحن البديلة حول إفريقيا تضيف ١١٠٠٠ ميل بحري، وا - ٢ أسبوع من الوقت ومليون دولار من التكاليف.

أثبتت جبهة المقاومة اليمنيّة ضدّ الكيان المحتل وداعميه من حلفائه الأميركيين والغرب، أنها قادرة على تغيير كلّ معادلات القوّة والسياسة في العالم، انطلاقًا من تكريسها مفهومًا جديدًا للردع يستند إلى التضحية والتعاطي مع القوى المستكبرة والمحتلة بلغة القوّة، عبر الاعتماد على الإمكانات الذاتية وعزيمة المقاومين وصبرهم، حتّى دون وجود حاجة لأن يمتلكوا الأساطيل العظمى، لتجبر بذلك أميركا ومن معها على الاعتراف بالانكسار والفشل أمام شجعان العرب والمسلمين، ولتفسرّ بالتالي سعي هؤلاء المستمر والقوي للحفاظ على ما تبقى من وجود هذا الكيان المهزوم المؤقت.

كاتب أميركي: حماس تحوّلت إلى قوة حرب

قال الأستاذ في جامعة «شيكاغو» روبيرت بيب إن «تسعة أشهر من العمليات القتالية الإسرائيلية الجوية والبرية لم تهزم حركة حماس، و «إسرائيل» ليست على مسافة قريبة من القضاء عليها، بل إنه وبحسب المقاييس التي تؤثر فعلًا على أرض الواقع، فإن حماس اليوم أقوى ممّا كانت عليه بتاريخ السابع من تشرين الأول/أكتوبر".

وفي مقالة نشرت في مجلة «فورين أفيرز» أشار الكاتب الذي يعدّ من أشهر الخبراء الغربيين في القضايا الأمنية إلى أن قوة حماس تزداد في الواقع، مشبهاً ذلك بتنامي قوة جماعة Viet Cong خلال عمليات البحث والتدمير التي شهدتها «فيتنام الجنوبية» عامي ١٩٦٦ و١٩٦٧ عندما أرسلت الولايات المتحدة القوات إلى البلاد في محاولة فاشلة لقلب مسار الحرب لصالحها.

وأضاف «حماس تبقى صامدة وتحوّلت إلى قوة حرب عصابات خطيرة في غزة، حيث جرى استئناف العمليات في المناطق الشمالية التي كان من المفترض بـ «إسرائيل» أن تطهرها قبل أشهر.. الخلل الأساس في إستراتيجية «إسرائيل» لا يتمثل بالتكتيكات أو فرض القيود على القوة العسكرية، تماماً كما أن فشل إستراتيجية الولايات المتحدة العسكرية في فيتنام لم يكن السبب الأساس وراءه الحرفية التقنية لقواتها أو القيود السياسية والأخلاقية على استخدام القوة العسكرية».

وأوضح أن «الفشل الأساس هو في سوء فهم مصادر قوة حماس، وأن «إسرائيل» لم تدرك أن الخراب والدمار اللذين تسببت بهما في غزة جعلا «العدو» أكثر قوة.

ورأى أن حماس ورغم خسائرها تبقى في الواقع المُسيطرة على مناطق شاسعة من غزة، بما في ذلك تلك المناطق حيث الثقل السكاني.

كذلك تحدث عن احتفاظ حماس بقدرتها على توجيه ضربة «داخل إسرائيل»»، مُرجّحًا أن تكون قد حشدت نحو ١٥،٠٠٠ مقاتلاً، اي ما يساوي عشر مرات تقريباً عديد المقاتلين الذين نفذوا هجمات السابع من تشرين الأول/أكتوبر، وأردف «الحرب الإسرائيلية تحولت إلى حرب استنزاف ستبقي لحماس القدرة على مهاجمة «إسرائيليين» حتى اذا ما مضى الجيش في حملته في جنوب قطاع غزة".

وشبّه الكاتب ما يواجهه الجيش «الإسرائيلي» اليوم بما واجهته القوات الأميركية في أفغانستان، وقال إن التركيز على عدد الوفيات يخلط ما بين النجاح التكتيكي والإستراتيجي ويتجاهل المقاييس الأساسية التي تبين أن القوة الإستراتيجية لدى المنافس تتنامى حتى عندما تتراكم الخسائر «الفورية» لديه".

وبحسب الكاتب، فإن قوة جماعات مثل حماس لا تأتي من العوامل المادية التي يعتمدها المحللون لتصنيف قوة الدول، مثل حجم اقتصادها والتطور التكنولوجي لدى جيوشها ومدى الدعم الخارجي الذي تحظى به وقوة نظامها التعليمي. أهم مصدر من مصادر القوة لدى حماس وغيرها من «الجماعات المسلحة» هو قدرتها على التجنيد، وخاصة جذب أجيال جديدة من المقاتلين الذين هم على الأرجح سيضحون بحياتهم من أجل القضية. هذه القدرة تعود جذورها في النهاية إلى عامل وحيد، وهو حجم وشدة الدعم لدى الجماعة داخل بيئتها.

وقال الكاتب: إن الدعم الشعبي يسمح لحماس بأن تعيد ترميم صفوفها وبأن تحصل على المزيد من الموارد البشرية والمادية من أجل حشد الصفوف وشن حملات «عنف» مستمرة.

وأضاف: «الأهم من ذلك هو أن الدعم الشعبي أمر ضروري من أجل بناء ثقافة الشهادة، أمّا البيئة التي تكرم المقاتلين الذين يسقطون في المعركة فهي تساعد في استمراريتها.. الشهادة تشجع على انضمام مجندين جدد.

وتابع الكاتب: إن تقييم القوة الحقيقية لدى أية جماعة يتطلب من المحللين النظر في الأبعاد المختلفة لدعمها لدى الفلسطينيين. كما أردف بأن ذلك يشمل شعبيتها مقارنة مع خصومها السياسيين، و مدى اعتبار الفلسطينيين «لعنف حماس ضد المدنيين الفلسطينيين» أمراً مقبولاً، وعدد الفلسطينيين الذين فقدوا أقارب لهم إثر الاجتياح الإسرائيلي لغزة.

كما أشار الكاتب إلى خمسة استطلاعات أجراها المركز الفلسطيني للبحوث السياسية والمسحية بدءاً من حزيران يونيو عام ٢٠٢٣ حتى حزيران يونيو الحالي، حيث تبين أن حماس تحظى بتأييد أكبر عند الفلسطينيين اليوم مقارنة بتاريخ السابع من أكتوبر. وأضاف بأن القصف والاجتياح الإسرائيلي لغزة لم يقلل من الدعم الفلسطيني «للهجمات ضد المدنيين الإسرائيليين داخل «إسرائيل» ولم يقلل بشكل ملحوظ من الدعم لعملية طوفان الاقصى. كذلك أشار إلى أنه ووفقاً لإحصائيات صدرت في آذار مارس الماضي، فإن نسبة ٧٣٪ من الفلسطينيين اعتبروا أن حماس كانت محقة بتنفيذ هجوم السابع من أكتوبر. كما قال: إن هذه الأرقام مرتفعة جداً، ليس فقط بعد الحملة الإسرائيلية عقب عملية طوفان الأقصى، وإنما ايضاً كون نسبة أقل وهي ٥٣٪ كانت تدعم الهجمات المسلحة على المدنيين الفلسطينيين في أيلول سبتمبر الماضي.

وشدّد على أن الدعم الفلسطيني لحماس ازداد بعد السابع من تشرين الأول/أكتوبر على حساب أمن «إسرائيل»، لافتًا الى أن المؤشرات كافة تفيد بأن المقاتلين الحاليين لدى حماس هم على الأرجح أكثر استعداداً من أي وقت مضى لشن حرب عصابات طويلة الأمد ضد أيّة أهداف «إسرائيلية» يستطيعون ضربها.

واعتبر أنه وبعد تسعة أشهر من الحرب، حان الوقت للاعتراف بحقيقة واضحة، وهي أنه لا يمكن هزيمة حماس عبر العمل العسكري وحده، إذ إن حماس تساوي أكثر من مجرد مجموع عديد قواتها.

وختم قائلاً: «حماس ليست مهزومة ولا هي على وشك الهزيمة، إلّا أن القادة الإسرائيليين لا يبدو أنهم مستعدون لوضع تصوّر لخطة سياسية بعد مرور كل هذا الوقت».